المصرية الأب «دوريتون» مدير المتحف المصرى الأسبق وقد نشرت تلك الأبحاث فى كتاب هذا العالم الذى طبع فى القاهرة بعنوان «صفحات فى علم الآثار المصرية القديمة» وهذا شئ طيب ، فلويس لم يتخصص فى الدراسات المصرية القديمة ولكن استعانته بأبحاث عالم متخصص كدوريتون لم تفقده أصالته ولا حرمته مع أن يأتى بجديد فى هذا المجال ، وكان تجديده فى نفس الاتجاه التفسيرى الذى استقر عليه منهجه . إننا لنحس من هذا البحث أن الدكتور لويس عوض قد خرج منه بنظرية عامة عن العقلية المصرية وطريقة تكوينها وتأثير البيئة الزراعية فيها منذ أقدم العصور ، وهذه فكرة أساسية وخطيرة فى اتجاه لويس التفسيرى فى دراسة الأدب ونقده على السواء ولا أدل على ذلك من أن نراه يستند على هذه الفكرة العامة فى تفسير كثير من الظواهر الأدبية الكبرى التى لا يزال الباحثون يختلفون حول تفسيرها ، مثل ظاهرة اختفاء فن المسرح فى مصر بالرغم من معرفة الفراعنة له ، ثم تعثر هذا الفن فى مصرنا الحديثة منذ أكثر من قرن .

الملحمة والمسرحية

الدكتور لويس عوض يستخلص من دراسته لبيئة زراعية كبيئة مصر القديمة أن هذه البيئة قد آمنت بالاختيار لا الجبر الذى يراه من خصائص البيئة المدنية لا الريفية ، وعنده أن الإيمان بحرية الإنسان واختياره معناه الإيمان بالمطلقات أى بالمبادئ المجردة المطلقة كالخير المطلق ، وهذه المطلقات هى التى تكون جوهر العقلية الملحمية التى يصطدم فيها البطل الممثل للخير المطلق مع العدو أو الوغد الممثل للشر المطلق . والأدب الملحمى إنما يقوم على الجهاد